مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٩/٢٠٠٦

الأحد ٢٦ شباط

أحد مرفع اللحم

تذكار أبينا الجليل في القديسين بورفيريوس أسقف غزة

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثالث

الرسالة

(١ كورنثوس ٨:٨–١٣؛ ١:٩–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقَرِّبُنا إلى الله. لأنَّا إن أكلنا لا نزيدُ وإن لم نأكُلْ لا نَنْقُص* ولكن انظروا أن لا يكونَ سلطانكم هذا معثَرةً للضُّعَفاءِ* لأنَّهُ إن رآكَ أحدٌ يا مَن لهُ العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُهُ وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيَهلِكَ بسبَبِ علمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحونِ ضمائرهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحِ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

أحد الدينونة

لا شكّ في أنّ أحد الأسباب التي دفعت واضعي الترتيب الليتورجيّ إلى اختيار المقطع البولسيّ الذي تُلي على مسامعنا نصًّا لرسالة أحد الدينونة يعود إلى ما يرد فيه من ذكر الامتناع عن اللحم: «إن كان الطعام يشكّك أخي، فلا آكل لحماً إلى الأبد». هذا الامتناع عن تناول اللحوم يشكّل، كما هو معروف، المرحلة الأولى من مراحل دخول الصوم الكبير، ما استتبع أنّ يُسمّى هذا الأحد في كتبنا الليتورجيّة وفي أوساط الشعب «أحد مرفع اللحم». طبعاً، من يتمعّن في نص الرسالة يستنتج أنّ ثمّة فرقاً بين السياق التاريخيّ الذي حضّ بولس على كتابة هذه الكلمات والسياق الليتورجيّ، أي اقتراب موسم الصوم الكبير. فالقضية المطروحة في الإصحاح الثامن من رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ترتبط بالسؤال عمّا إذا كان يحقّ للمسيحيين الآتين من الوثنيّة شراء فضلات الذبائح المقدّمة للآلهة من الأسواق وتناولها. إنّ سؤالاً من هذا النوع غائب طبعاً عن حاضر المؤمنين اليوم ولا يمسّهم مباشرةً. بيد أنّ هذا الفرق لا يقلّل من جدوى قراءة هذا النصّ على مسامع المؤمنين استعداداً للصوم الكبير وبدء الإنخراط في أجوائه عبر الانقطاع عن اللحم. ولعلّ هذا يقتضي بعض الإيضاح.

القضية اللاهوتية، كما يشرحها الرسول في هذا المقطع، هي، في نهاية المطاف، مسألة الحريّة المسيحية وحدود ممارستها. والحقّ أنّ بولس يعطي جواباً فريداً عن السؤال المطروح عن معنى الحريّة ومداها. هذه الحريّة قيمة كبرى في عرف الرسول. إنّها الطاقة الجديدة المنبثقة من موت المسيح على الصليب والتي تجعل الوثنيّين المؤمنين بيسوع غير مضطرّين إلى دخول اليهوديّة، أي إلى الاختتان، للتنعّم بثمار العمل الخلاصيّ الذي حقّقه يسوع في موته وقيامته. بهذا المعنى، المسيحيّ حرّ من كلّ قيد، من كلّ ضغط، من كلّ ناموس. وإن كان «ذا علم»، أي إن كان يعرف أنّ الآلهة الوثنيّة ليست بشيء، ليست بموجودة، فلا ضير عليه إذا تناول من بعض لحوم ذبائحها. بيد أنّ حجّة الرسول لا تنتهي هنا. فالمسيحيّ حرّ طبعاً. ولكنّه بالحريّة المعطاة له بفضل صليب يسوع هو أيضاً عبد

الإنجيل

(متى ٢٥:٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معهُ فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدهِ* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميِّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميِّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيمُ الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارهِ* حينئذٍ يقولُ الملكُ للذينَ عن يمينهِ تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَمِ* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبهُ الصدِّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يسارهِ اذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكتهِ* لأنّي

ليسوع، عبد للمسيح الذي حرّره من كلّ أركان العالم. ولكونه عبداً للمسيح لا يليق به أن يسلك وكأنّ الإخوة الصغار، الذين مات المسيح أيضاً من أجلهم بغيّة تحريرهم، لا حضور لهم. فلئن كانت الآلهة الوثنيّة غير موجودة، إلاّ أنّ الإخوة الضعفاء الآخرين الذين يتشكّكون من رؤيتهم أخاً لهم يأكل من بيت الأوثان موجودون حقّاً، وهم أعضاء في جسد المسيح، أي أنّ الانتماء إلى المسيح لا يستقيم من دونهم حتى ولو باسم الحريّة التي يغدقها المسيح نفسه على من اعتمدوا باسمه. جواب الرسول، إذاً، بسيط: الحريّة؟ نعم. ولكن ليس على حساب المحبّة. فوحدها المحبّة تشدّ أعضاء الجسد بعضاً إلى بعض وتظهر أنّهم ينتمون فعلاً، لا قولاً، إلى جسد واحد. وإذا كانت الكلمة الأخيرة هي لسلطان المحبّة، فالمسيحيّ الذي يعتبر نفسه قويّا بالحريّة المعطاة له، وهو في الحقيقة كذلك، مدعوّ ألاّ يجعل من هذه الحريّة أداةً لتشكيك الآخرين وإعثارهم، بل أن يمنع نفسه بالمحبّة من سوء استخدام الحريّة.

طبعاً، بولس الرسول يدرك تماماً أنّه لا يستطيع أن يفرض على أهل كورنثوس نظرته إلى الأمور حتى لو أتى رأيه منسجماً مع الإنجيل الذي بشّرهم به والذي يحظى فيه قانون المحبّة بمركز رياديّ. فالكورنثيّون الذين يبتاعون اللحوم في دور العبادة الوثنيّة «أحرار»، في نهاية المطاف، أن يأخذوا بنصيحته أو لا يأخذوا بها. لذا، هو يذكّرهم، على مشارف نهاية المقطع، برسوليّته، أي بالسلطان المعنويّ الذي يتمتّع به تجاههم لكونه هو من حمل الإنجيل إليهم: «ألستم أنتم عملي في الربّ»؟ بولس يعرف، من جهة أخرى، أنّ ثمّة مسيحيّين آخرين ما كانوا يعترفون برسوليّته، أي بأنّه رأى الربّ يسوع وتلقّى منه مباشرةً سلطان التبشير. لذا، هو يحرص على تأكيد مثل هذه الرسوليّة بالنسبة إلى الكورنثيين على الأقل: «وإن لم أكن رسولاً إلى آخرين، فإنّي رسول إليكم». طبعاً هذه الرسوليّة لا تنبع فقط من كونه حمل الإنجيل إلى أهل كورنثوس، بل من كونهم هم «ختم رسالته في الربّ»، أي أنّهم هم البرهان الحيّ على صدقيّة ما اؤتمن هو عليه من الإنجيل. الأرجح أنّ بولس يقصد، بالدرجة الأولى، أنّ إقبال الكورنثيين، الذين كانوا فيما مضى من عبدة الأوثان، على الإنجيل ما أن بشّرهم به إنّما يؤكّد أنّه رسول حقّاً، لأنّ مثل هذا الإقبال لا يمكن أن يكون إلاّ ثمرة من ثمار الروح القدس. وربما هو يشير أيضاً، على نحو مبطّن، إلى المواهب الكثيرة التي فجّرها الروح القدس في كنيسة الكورنثيين بعد معموديتهم (راجع ١كور ١٢-١٤) بوصفها تشهد أيضاً لصحّة الإنجيل الذي حمله، ما يجعل أصحاب هذه المواهب «ختم رسالته في الرب».

بالعودة إلى السؤال عن معنى اختيار هذا المقطع لهذا النهار، يتبيّن لنا ممّا سبق من إيضاح أن المسيحيين مطالَبون بولوج موسم الصوم المبارك طبعاً بالانقطاع عن اللحم، ولكن على أن يكون إطار هذا الانقطاع وروحه ومعناه العميق ما يدعو إليه الرسول من المحبّة والشركة والانتباه إلى الآخر. وحده قانون المحبّة يؤهّلنا ألاّ ينتهي بنا الصوم إلى دخول هيكل الأوثان من جديد، أي إلى تحوّل الصوم من ممارسة غايتها التدرّب على محبّة القريب إلى ممارسة صنميّة تصبح هي غاية ذاتها فتتغرّب عن فحواها ومرماها الأخير. مَنْ سُرّ بزمن الصوم الكبير، هنيئاً له السرور! ومن أراد استمطار البركات في الموسم، هنيئاً له التبرّك! ولكن لهذا كلّه شرط:

جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُرياناً فلم تَكْسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبهم قائلاً الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبديّ والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

أنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم ومهدوها لقبول بشارة الإنجيل، ولا تخنق قلوبكم اهتمامات العالم الكثيرة. فلنطلب ما هو ضروري لا ما هو للتنعّم. «إنما الحاجة إلى واحد» (لو١٠:٤٢) كما قال الرب. وليس شيء أعلى قدراً من النفس، فلنهتمّ ونستعدّ كل يوم لأجلها ولا نغني زماننا في الاهتمام بالجسد. لكن إذا جاع الجسد وطلب طعاماً فتذكر أنت أن النفس تطلب حاجتها أيضاً. وكما أن الجسد لا يستطيع أن يحيا بدون أن يستعمل الخبز، كذلك النفس تكون مائتة إن لم تغتذ بالحكمة الروحانية، لأن ألاّ يأتي الابتهاج والشعور بهطول البركات على حساب الأخ الفقير الضعيف الذي ارتضى المسيح أن يموت من أجله على الصليب. من أراد أن يصوم، فلتكن عيناه إلى المصلوب على الدوام. فهو من يغدق الصوم على الصوّامين و«يعطي الصلاة للمصلّي».

المجيء الثاني والصوم

بعد أربعين يوماً من قيامته من بين الأموات صعد الرب يسوع إلى السموات. وللحين أوقف رجلان بلباس أبيض التلاميذ «وقالا أيُّها الرجالُ الجليليونَ ما بالُكم واقفينَ تنظرونَ إلى السماءِ. إنَّ يسوعَ هذا الذي ارتفعَ عنكم إلى السماءِ سيأتي هكذا كما رأيتموهُ منطلقاً إلى السماءِ» (أع ١:١١).

عاشت الجماعات المسيحية الأولى، في عصر الرسل والفترة التي تلته، في توقع وشوق لعودة الرب في أسرع وقت وهم ما زالوا أحياء. حتى ان الإنجيلي يوحنا يورد مرتين في آخر إنجيله كلام الرب يسوع عنه والذي قاله لبطرس: «إن كنتُ أشاءُ أنَّهُ يبقى حتى أجيءَ فماذا لكَ» (يو ٢١:٢٢و٢٣). والرسول بولس يوصي تلميذه تيموثاوس «أن تحفظ الوصيَّةَ بلا دنَس ولا لوم إلى ظهورِ ربِّنا يسوعَ المسيح» (١تيمو ٦:١٤). كما يخبر تلميذه تيطس بأن أتباعٍ المسيح يجب أن يحيوا «بالتعقلِ والبِرِّ والتَّقوى في العالمِ الحاضِرِ منتظرينَ الرَّجاءَ المباركَ وظهورَ مجدِ اللهِ العظيمِ ومُخلِّصِنا يسوعَ المسيح» (تي ٢:١٢-١٣). ويبدو ان عبارة «ماران أثا» (١ كور ١٦:٢٢) أي «تعالَ يا رب» كانت شائعة بين المسيحيين في القرن الأول حتى ان الرسول بولس يختم بها رسالته إلى أهل كورنثوس.

عام ٧٠، حصل دمار أورشليم، فاعتبر الكثيرون ما حدث تحقيقاً لنبوءات الرب يسوع (متى ٢٤) التي أطلقها ضمن حديثه عن علامات مجيئه وانقضاء الدهر. لذا قرر الكثيرون منهم عدم الزواج، أو ترك أعمالهم اليومية، أو الانطلاق إلى العيش في البراري والتفرُّغ للصلاة، وذلك لأنهم اعتبروا ان المجيء قريب. لكن المجيء لم يحصل، وبقي الرسل وتلاميذهم يبشِّرون بالخلاص وبتعاليم المسيح وبمجيء ملكوته. وكان عدد المؤمنين في ازدياد دائم رغم الاضطهادات التي قادها الرومان ضدهم، وكان حضور الروح القدس يتجلّى بينهم مقوّياً إيمانهم عبر الشفاءات التي كانت تحصل. مع مرور الوقت أيقن المؤمنون ان «الزمن المناسب» لم يحل بعد لكي يجيء الرب ثانية، فالرب وحده يعرف متى يحين «ملء الزمان». لقد تذكروا كلام الرب في نهاية تلك النبوءات: «ذلك اليومُ وتلكَ الساعةُ فلا يعلَمُ بهما أحدٌ ولا ملائكةُ السَّمواتِ إلاَّ أبي وحدهُ... اسهروا إذاً لأنَّكم لا تعلَمون في أيَّةِ ساعةٍ يأتي ربُّكم» (متى ٢٤:٣٦ و٤٢).

أيقن المسيحيون أنهم يجب أن يتعايشوا مع فكرة عيشهم في هذا العالم ولكن مع عدم الإنزلاق إلى متاهات هذا العالم، وكأنهم ليسوا من هذا العالم، لأنهم لا يعرفون متى يكون المنتهى. ربما فهموا من متى ٢٤ ان أحد أوجه النهاية قد تكون عندما يموت الإنسان ويلاقي وجه ربه. كذلك فقد لاحظوا ان الكنيسة كانت تكبر وتنمو بنعمة الروح القدس وزاد عدد المؤمنين إلى ان سمح الله بأن تصبح المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية في أوائل القرن الرابع. رغم الهدوء والسلام الذي عاشته الكنيسة منذ ذلك الوقت لم تنسَ أن ربّها سوف

الإنسان من نفس وجسد. لذا قال المخلّص: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من عند الرب» (متى٤:٤). فأنت كوكيل حكيم (لو١٢: ٤٢) أعطِ إذاً النفس أغذيةَ النفس، وامنح الجسد أغذية الجسد، ولا تدع نفسك تموت. لكن غذِّها بالأقوال، بالمزامير والتسابيح، بالترنيمات الروحية وبقراءة الكتب الإلهية، بالأصوام والأسهار، بالصلوات والعبرات، بالرجاء والهذيذ في الخيرات المنتظرة.

فمن يزرع في جسده التمتعَ بالعالم والتنعّم والأغذية فمن جسده يحصد الفساد، ومن يزرع في الروح صلاة وسهراً وصوماً فمن الروح يحصد الحياة الأبدية (غلا ٦:٨).

لنضع أمام أعيننا كل حين الآتي ليدين الأحياء والأموات، ولنتذكر دائماً الحياة الخالدة والملكوت الذي لا يفنى والتصرف مع الملائكة والعيش مع المسيح. تذكر أن ليس في العالم سوى الدموع والتعييرات، المثالب والأتعاب، الأمراض والشيخوخة، الخطايا والموت. فلا تحب العالم. تذكّر القائل «صلّوا بلا انقطاع» (١ تسا٥:١٧). ما دام لنا وقت للتوبة فلنداوِ بالعبرات ما اجترمناه وأثمنا به. فوقت التوبة قليل وملكوت السموات لا نهاية له.

القديس افرام السرياني

يأتي ليأخذها إليه وأن هناك نهاية للأزمنة. هذا الإيمان بالمجيء الثاني عبَّرت عنه الكنيسة في المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) في القسم الثاني من دستور الإيمان «وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي».

هذا التعليم حول المجيء الثاني حفظته الكنيسة، بإلهام الروح القدس، حتى يومنا هذا، خاصة في الخِدم الليتورجية الكنسيّة، تحديداً في الفترة المعروفة بالتريودي، أي فترة الصوم الكبير والآحاد الأربعة التي تسبقه مع الأسبوع العظيم المقدس. وغالباً ما تستعمل الصورة التي أعطاها المسيح لنفسه في مَثَل العذارى العشر والخَتَن، وهي صورة المَلِك الآتي لإقامة مملكته الأبدية. لذلك تتكثف الدعوة إلى التوبة في هذه الفترة لنتهيأ للدينونة في المجيء الثاني.

خلال فترة التريودي تدعونا الكنيسة لتكثيف الصلاة، الفردية والجماعية، إلى جانب دعوتها إلى الإمتناع عن بعض الأطعمة والتعفف عن بعض الأمور الدنيوية. هدف هذا النظام تدريب الإنسان لكي يسكن قلبُه وعقلُه في الأمور التي ليست من هذا العالم. رسالة الكنيسة في فترة الصوم الكبير هي أن يكون الإنسان يقظاً في حياته وأن يكون مستعداً لمجابهة الشيطان في كل حين كما فعل الرب يسوع عندما جرّبه الشيطان في نهاية صومه الأربعين يوماً (متى ٤). عندما نفعل هذا يصبح توقّع ملاقاة المسيح شخصياً وتذوق الملكوت الآتي أمراً أساسياً وطبيعياً في حياتنا اليومية.

يبقى السؤال: لماذا هذا التشديد على الربط بين المجيء الثاني والصوم؟ الرب يسوع هو الذي أنشأ هذه المنظومة لموسم الصوم الذي نختبر فيه الأسى المفرح. الأسى لأنه تركنا وصعد، والفرح المتوقع بأننا سنلتقيه مجدداً. لنقرأ ما كتبه الإنجيلي متى: «حينئذٍ أتى إليه تلاميذُ يوحنا قائلينَ لماذا نصومُ والفريسيُّونَ كثيراً وأمَّا تلاميذُكَ فلا يصومون؟ فقال لهم يسوعُ هل يستطيعُ بنو العُرسِ أن ينوحوا ما دامَ العريسُ معهم ولكن ستأتي أيامٌ حينَ يُرفَعُ العريسُ عنهم فحينئذٍ يصومون» (٩:١٤-١٥).

هذا العريس، الختن، الذي ارتفع إلى السماء هو نفسه الذي سيأتي في اليوم الأخير بحسب مَثَل العذارى العشر (متى ٢٥). لذا فإن الصوم بعد ارتفاع العريس هو لتذكير المؤمن المسيحي ان الرب يسوع المسيح سوف يأتي يوماً بمجد. عندما يصوم الإنسان فهو يقول «ماران أثا»، «تعالَ يا رب».

الصوم مبارك من الله. هو رغبة المؤمن إلى الله بأنه ينتظر الخيرات والبركات الأبدية الآتية بدلاً من خيرات هذه الحياة الأرضية. يساعد الصوم الإنسان على ضبط شهواته، ويصير حساساً لما يدور حوله، ويتوسع مفهومه للحياة. كما يساعده على الوعي والانتباه لما يريده الله لشعبه، وما رسمه لهذا الشعب. ما يحصل عليه الإنسان في الصوم هو النعمة الروحية والسلام الداخلي والفرح الذي لا يُنتزع منه. إنها الحالة التي تسمح للمؤمن بأن يكون واعياً للخيرات السماوية التي وعد بها المسيح شعبه، هذه الخيرات التي سيحصل عليها في الدهر الآتي، في المجيء الثاني.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb